المرأة والرجل

لشك أن تاريخاً طويلاً يمكن تسجيله حول علاقة الرجل والمرأة، وهو يمتلئ بالكثير من صور المظلم والإهانة والإهمال، كما يحتوى على جانب كبير من مظاهر الحب والتكريم والإعزاز. وفى كل الأحوال كانت تصاغ قوانين، وتطبق أحكام من أجل تنظيم هذه العلاقة، والحفاظ على استمرارها، لأن المجتمعات كلها أدركت أن هذا الاستمرار يعنى استقرار المجتمع، وتواصل أجياله. ومن الواضح أن المرأة المصرية كانت أسبق من غيرها على مستوى البلاد العربية فى الوعي بحقوقها، والمطالبة بها ابتداء من القرن العشرين، الأمر الذى أدى إلى حصولها على حقوق لم تتواضع لها من قبل، وفى مقدمتها حق التعليم وحق العمل، كما كان لذلك أثره البالغ فى إعطاء نفس المحقوق فيما بعد لأخواتها فى سائر البلاد العربية.

ومن الملاحظ أن عنصر الزمن يقوم بدور هام فى حصول المرأة على حقوقها. أذكر أن أحمد لطفى السيد، أول رئيس لجامعة القاهرة نجح بصعوبة فى العشرينات فى إتاحة فرصة التعليم بالجامعة لعدد من الفتيات وسط معارضة شديدة من باقى أعضاء مجلس الجامعة حينئذ، بينما دخلت المرأة إلى الوزارة فى الخمسينات دون أى معارضة تذكر، اللهم إلا مع بعض الدهشة والاستغراب، وتوقع الفضل الذى لم يحدث.

وفى الفترة الأخيرة أصبح للمرأة العديد من الحقوق، وبخاصة فى مجال الحياة الزوجية، وهو المجال الذى كان المجتمع المصرى ينظر إليه على أنه من المحرمات، التى لا ينبغى المساس بها، وذلك على الرغم من وجود الكثير من الثغرات التى كانت موجودة فيه، ومن أبرزها (بيت الطاعة) الذى لا سند له من الدين، وإنما جاء نتيجة تراكمات شعبية، وغريبة عن المجتمع المصرى. فالقرآن الكريم يقول عن العلاقة الزوجية بكل وضوح " (فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان)" أى أن الزواج إما أن يستمر فى إطار المعروف، والعلاقة الطيبة بين الزوجين، أو يتم الانفصال بالإحسان إلى الزوجة وعدم إيذائها أو إيقاع الضرر بها، بل على العكس يمكن أن تأخذ أكثر من حقها، وأن يكون الزوج المطلق كريماً للغاية معها، وهذا معنى الإحسان.

أما (حق الخلع) الذى حصلت عليه المرأة أخيراً، والذى ثارت بشأنه زوابع لا داعى لها، فهو ثابت فى السنة النبوية، ومتناسق تماماً مع تعاليم الإسلام السمحة، والعدالة. ومما لاشك فيه أنه يحدث توازناً معقولاً مع حق الرجل فى الطلاق. وعموماً فإن العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة سوف تظل محكومة بأعراف المجتمع النابعة من الأديان السماوية، والمتى ينبغى أن تتسم بالعدل والكرم من جانب الرجل، وبالمحترام والعرفان من جانب المرأة.

إن حياة الرجل دون المرأة لا معنى لها. وقد أجريت فى عاصمة كولومبيا مؤخراً تجربة أن يلزم الرجال بيوتهم طوال ليلة واحدة، بينما تقوم النساء بأعمالهم. وكانت النتيجة أن الرجال أحسوا بالكثير من الوحشة، بينما قال النساء إنهن قضين الليلة فى سلام. وفى رأى أنهن كالعادة لم يفصحن عما شعرن به بصراحة. فكل من الرجل والمرأة محتاج إلى الآخر. ولما تستقيشم الحياة الاجتماعية إلى ما بهما معا.. فالمرأة قادرة على إنتاج السعادة، التى تغمر حياة الرجل، والرجل مؤهل لتقديم العون والحماية اللتين تحتاجهما المرأة. وكل من الرجل والمرأة يعتبران المظلة التى يتربى تحتها الأطفال.